﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠﴾ [النّمل: 70]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

رعـايـةُ الـلـه تـعـالى لـنَـبـيّـه ﷺ، وتسليتُه عـــن ســـوء أخلاق المشركين وجلافتِهم

لَمّا دَهَمَ النَّبيَّ ﷺ مِنَ الأسَفِ عَلى جَلافَتِهِمْ في عَماهم عَنِ السَّبيلِ الَّذي هَدى إلَيْهِ الدَّليلُ، ما لا يَعْلَمُهُ إلّا اللّه، وغلب عليه الإشفاقُ عليهم من مَغبّة تكذيبهم؛ نهاه تعالى عنِ الحُزْن على عدم إيمانهم، وإصرارِهم على ما هم فيه منَ الشّرك. وكانَ مِن رَحْمَتِهِ ﷺ حِرْصُهُ عَلى إقْلاعِهِمْ عَمّا هم عَلَيْهِ مِن تَكْذيبِهِ والمَكْرِ بِهِ، فَألْقى اللّه في روعِهِ رباطَةَ جاشٍ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾، فَجَمَعَ بَيْنَ إزالَةِ الغَمِّ عَنْهُ بِكُفْرِهِمْ، وبَيْنَ إزالَةِ الخَوْفِ مِن جانِبِهِمْ، وصارَ ذَلِكَ كالتَّكَفُّلِ بِنُصْرَتِهِ عَلَيْهِمْ[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَحۡزَنۡ﴾: (حزن) أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ خُشونَةُ الشَّيْءِ وشِدَّةٌ فيهِ. فَمِنْ ذَلِكَ الحَزْن، وهوَ ما غَلُظَ مِنَ الأَرْضِ[2]. والحُزْنُ والحَزَن: خشونةٌ في النّفس لِما يحصل فيه منَ الغمّ، وقيل: هو ألمٌ ومشاعرُ شاقَّةٌ يجدها الإنسانُ في قلبه لفقد شيء أو نحوه. ويُضادُّه الفرحُ، ولاعتبار الخشونة بالغَمّ قيل: خشّنَت بصدره: إذا حزَّنته[3]. قال ﷻ: ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ [آل عمران: 153]، و﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [فاطر: 34]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ﴾ [الحجر: 88] و[النّمل: 70]، فليس ذلك بنهي عن تحصيل الحُزن، فالحُزْن ليس يحصل بالاختيار، ولكنّ النّهيَ في الحقيقة إنّما هو عن تعاطي ما يورِثُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 12/ 451، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 208، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 26.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حزن).

(3) الرّاغب، المفردات: (حزن).

الحُزْنَ ويُكْسِبُه، وحَثٌّ للإنسان أن يتصوّر ما عليه جُبِلَت الدّنيا، حتى إذا ما بَغَتَتهُ نائبةٌ لم يكترث بها؛ لمعرفته إيّاها، ويجب عليه أن يروّض نفسَه على تحمُّل صغارِ النّوَب حتّى يتوصَّلَ بها إلى تحمّل كبارها[1].

2) ﴿ضَيْقٍ﴾: (ضيق) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلافِ السَّعَةِ، وذَلِكَ هوَ الضّيقُ، والضّيقَةُ بالفتح والكسر: الفَقْرُ. يُقالُ: أَضاقَ الرَّجُلُ: ذَهَبَ مالُهُ. وضاقَ، إذا بَخِلَ. والضّيْقَةُ يستعمل في الفقر والبُخل والغَمّ، ونحوِ ذلك[2]. والمعنى المحوريّ: نقصُ فراغِ الحَيّز من تضامّ جوانبِ محيطِه، أي: تقاربها بعضِها إلى بعض، كما في ضيق الدّار والثّوب والمكان على ما فيهما[3]. قال تعالى: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12]، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التّوبة: 118]، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النّحل: 127]، كلّ ذلك عبارة عنِ الحُزن، وقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطّلاق: 6]، ينطوي على تَضْييقِ النّفقة وتَضْييقِ الصّدر[4].

3) ﴿يَمْكُرُونَ﴾: المَكْرُ: الاحْتيالُ والخِداعُ[5]، وهو: صرفُ الغَير عمّا يقصدُه بحيلةٍ، وذلك ضربان: مَكْرٌ محمود، وذلك أن يتحرّى بذلك فعلَ جميلٍ، وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: 54]. فالمَكْرُ مِنَ اللّه تَعالَى جَزاءٌ سُمّي باسْمِ المَكْرِ مجازًا، وقال بعضهم: مَكْرُ اللّه إيقاعُ بَلائِه بأَعدائه دونَ أَوليائه[6]. والمَكْر المَذموم: هو أن يتحرّى به فعلَ قبيحٍ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43]، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: 30]، وقال في الأمرين: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النّمل: 50]، وقال بعضهم: مِن مَكْرِ اللّه إمهالُ العبد وتمكينُه من أعراض الدُّنيا[7].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعد التّوجيه الحكيم بالسّير في جنبات الأرض لالتماس العبرة في عواقب الأُمم السّابقة، أخذتِ السّورةُ الكريمة في تسليَة الرَّسول ﷺ عمّا أصابه من حزنٍ بسبب

(1) الرّاغب، المفردات: (حزن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضيق).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ضيق).
(4) الرّاغب، المفردات: (ضيق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مكر).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (مكر).
(7) الرّاغب، المفردات: (مكر).

كُفْرِهم، أي: ولا تحزن - أيّها الرَّسول الكريم - على هؤلاء المشركين، بسبب إصرارهم على الكفر والجُحود، ولا يَضِقْ صدرُكَ، ويَمْتلِئْ همًّا وغمًّا بسبب مكرِهم، فإنّ الله تعالى عاصِمُكَ منهم، وناصِرُكَ عليهم، ومُنْجيكَ من احتيالهم، ومُظهرٌ دينَكَ على مَن خالفَه في المشارق والمغارب[1].

من معاني تأييدِ الله تعالى لنَبيّه ﷺ ونصرتِه تبصيرُه بعواقب الكفّار والمشركين

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### تلوينُ الخطاب في صدر الآية وفائدةُ الواو:

وصل النّظمُ الحكيمُ بينَ الآيتين بالواو العاطفة لتوسّط الكَمالَين، كمالِ الاتّصال وكمالِ الانقطاع؛ وذلك لاتّفاق الجُملَتين في أسلوبهما الإنشائيّ، وإن كانت الأوْلى أمرًا والثّانية نهيًا، إلّا أنّ النّهيَ بمثابة أمرٍ في حقيقة معناه. وحَسُنَ موضِعُ الواو بينَ الجُملَتين؛ لتناسُبِ المعنى الجامع لهما، فالآيةُ الثّانية لِفْقٌ لمعنى الأولى وتتمّةٌ لها في حقيقة الأمر؛ إذِ انتقلتِ الآيةُ الكريمة منَ الأمر بالسّير في جنبات الأرض التماسًا لمصائر السّابقين للاتّعاظ بما حلّ بهم، إلى إرشاد النّبيّ ﷺ ونُصْحِه بألّا يحزن، وتوجيهِه إلى الثّقة في موعود الله[2].

بعد أخْذِ العِظَة والاعتبار، يَحسُنُ الصّبرُ والاطمئنان والثّقة بمَوعود الله

### سِرُّ التّعبيرِ بنفي الحُزن دونَ غيره:

آثَرَ النّظمُ الحكيم التّعبيرَ بلفظ الحُزن دونَ سواه لمناسبة مفردة الحُزن، واشتمالِها على معانٍ دقيقةٍ، وذلك لأنّ الحُزن خشونةٌ في النّفس لِما يحصل فيها منَ الغمّ، وألمٌ ومشاعرُ شاقّةٌ يجدها الإنسانُ في قلبه لفقد شيء أو نحوه، وقد كان النّبيُّ ﷺ حريصًا على هداية قومه، وكانَتِ الرَّحْمَةُ غالِبَةً عليه، والشَّفَقَةُ عَلى الأُمَّةِ مِن خِلالِه، فَلَمّا أُنْذِرَ المُكَذِّبونَ بِهَذا الوَعيدِ تَحَرَّكَتِ الشَّفَقَةُ في نَفْسِ الرَّسول[3]،

حُزْنُ النّبيّ ﷺ وأَلَمُهُ لعدم هدايةِ قومه، وإشفاقُه عليهم رغمَ مكرِهم به

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 353، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 15.
(2) بسيونيّ فيّود، علم المعاني، ص: 475 - 477.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 26.

فعَبّر النّظمُ بهذا اللّفظ دونَ غيره من ألفاظٍ، كالخوف أوِ الشّفقة، لهذه المعاني كلّها.

### دلالةُ النّهي عنِ الحُزن في الآية:

رعايةُ اللهِ ﷻ لنَبيّه ﷺ لا تتركُهُ في حُزن، ولا تدعُهُ في ألم

جاء أسلوبُ النّهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ للحَثّ والإرشاد والتّوجيه؛ لأنّهم إذا كانوا يسيرون في الأرض ليريَهم عاقبةَ المجرمين؛ فذلك إعلامٌ لهم بأنّهم مثلُهم وسينزل بهم مثلُ ما نزل بغيرهم؛ ولأنّهم ضالّون مثلُهم، ولا شكّ أنّ ذلك يُحزِن النّبيَّ ﷺ، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الشعراء: 3]؛ إذ هم قومُه وعُشَراؤه، كما أشار قولُه جلّ اسمُه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التّوبة: 128][1]. فأرشدَه ﷻ ألّا يحزنَ عَلى الكافِرينَ لعدم إيمانهم به وعدمِ مُتابَعَتِهِمْ لَه. وقيلَ: عَلى المُؤْمِنينَ وما قد يحيقُ بهم مِنَ مكر الكافرين، وما قد يتعرّضون له من أذاهم[2].

### فائدةُ التّعبيرِ بالجارّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾:

نَـهْـيُ اللهِ جَلّ اسـمُـه لنبيّه ﷺ أن يستوليَ الحُزنُ على قلبه إشـفـاقًـا على قومه

يأتي حرفُ الجرِ (عَلَى) في العربيّة ليُفيدَ الاستعلاءَ، سواءٌ أكان هذا الاستعلاءُ حقيقيًّا أم مجازيًّا، ولفظُها يدلّ على ذلك، فهي مأخوذة منَ العُلوِّ، وهذا هو الأصل في معانيها، كما أنّ من معانيها المصاحبةَ والمجاوزةَ والتّعليلَ والظّرفيّةَ والغاية[3]. وقد دلّ استعمالُ النّظمِ الحكيم ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ على نهي اللهِ تباركت أسماؤه وعظمت آلاؤه لنَبيّه ﷺ أن يستوليَ الحُزن على قلبه؛ إشفاقًا على هؤلاء الكفّار المعاندين من قومه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ [فاطر: 8].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5480.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 26.
(3) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 478، والسّامرائيّ، معاني النّحو: 3/ 47.

### دلالةُ إثباتِ النّون في ﴿تَكُن﴾ وحذفِها:

جاء إثباتُ النّون مناسبًا لسياق المُـحـاجَـجَـةِ، وتنبيهًا على عدم تـمـكّـن الضّـيـق من نفسه

يجوز في العربيّة حذفُ نون (كان) تخفيفًا لكثرة الاستعمال، بشرط أن يكون الفعل مجزومًا بالسّكون، وألّا يليَهُ حرفٌ ساكنٌ، غيرَ أنّ حذفَها في القرآن لا يأتي لمجَرّد التّخفيف، وإنّما لغرضٍ بلاغيٍّ يقتضيه المقام، وقد حُذِفتِ النّون من (كان) المَجزومة سبعَ عشْرةَ مَرّة في القرآن الكريم، ولم تُحْذَف مع إمكان الحذف في سبعة وخمسين موطنًا، وما ذلك إلّا لسبب بلاغيّ يقتضيه المقامُ، فقد تكون للإسراع، ولعدم قدرةِ المُتكلّم على إتمام الكلام[1]، وقد تُحْذَف النّون تنبيهًا على صغر مبدأ الشّيء وحقارته، وأنّ منه ينشأ ويزيد إلى ما لا يحيط بعلمه غيرُ الله، ومن أمثلة ذلك قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: 37]، فقد حُذِفَتِ النّون تنبيهًا على مبتدأ الإنسان وصِغَرِ قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه، ثُمّ يترقّى في أطوار التّكوين ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [يس: 77]، وكذلك في قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النّساء: 40]، فقد حُذِفتِ النّون تنبيهًا على أنّ الحسنةَ حتّى وإن كانت صغيرةَ المِقدار، حقيرةً في الاعتبار؛ فإنّ إلى الله ﷻ تربيتَها وتضعيفَها[2].

وقد تُحذَف لإفادة النّهي بقوّة، كعِلّة حذفِ النّون في سورة النّحل، وإثباتِها في سورة النّمل، وهذه العِلّة إنّما تُفْهَم من سياق الحديث في الموضعين منَ السّورتين، فقد قال تعالى في سورة النّحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: 126 - 127]، وقال في سورة النّمل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ

(1) السّامرائي، معاني النّحو: 1/ 230 - 231.
(2) الزّركشيّ، البرهان: 1/ 404 - 407.

وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾. فقال في الأولى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ﴾ [النحل: 127]، وفي الثّانية: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ﴾؛ وذلك لأنّ السّياق مختلفٌ في السّورتين، فالآياتُ الأولى نزلت حين مثّل المشركون بالمسلمين يومَ أحد، وقَدْ كانَ رَسولُ اللّه ﷺ حينَ رَأَى حَمْزَةَ قَدْ مُثِّلَ بِهِ قالَ: "لَئِنْ ظَفِرْتُ بِقُرَيْشٍ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلاثينَ مِنْهُمْ، فَأَنْزَلَ اللّه تَعالَى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ [النحل: 126] الآيَةَ. وأوصاه بالصّبر ثمّ نهاه أن يكون في ضَيْق من مكرهم، فقال له: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: 127]، أي: لا يكن في صدرك ضيقٌ مهما قَلّ، وهو تطمينٌ منَ اللّه لرسوله، وتطييبٌ له مناسبٌ لضخامة الأمر وبالغِ الحُزن، أو هو من باب تخفيف الأمر وتهوينه على المخاطَب، فَخُفِّفَ الفعل بالحَذف إشارةً إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النّفس، أمّا الآيات الثّانية فهي في سياق المُحاجَجَة في المَعاد، وهو ممّا لا يحتاج إلى مثل هذا التّصبير[1].

ويمكن القولُ: إنّ في إثبات النّون في سورة النّمل إلماحًا إلى أنّ قومه ﷺ سيدخلون في حظيرة الإيمان بعد أن يشرحَ اللّه صدورَهم للإيمان، فلا ينبغي أن يَضيقَ صدرُه ضيقًا شديدًا، فإنّما هي فترة وجيزة وسيدخلون في الإسلام، كما حدث بعد ذلك[2].

وذهب البقاعيُّ إلى أنّ إثبات النّون في ﴿وَلَا تَكُن﴾ جاء في سياقِ الإخْبارِ عَنْ عِنادِهِمْ واسْتِهْزائِهِمْ، مَعَ كِفايَتِهِ ﷺ لِمَكْرِهِمْ؛ بِما أعَدَّ لَهم مِن سوءِ العَذابِ في الدّارَيْنِ، فَلا مُقْتَضى لِلتَّناهي في الإيجازِ والإبْلاغِ في نَفْيِ الضّيقِ، فَيُفْهِمُ إثْباتُ النّونِ الرُّسوخَ، فَلا يَكونُ مَنهيًّا عَمّا لا يَنْفَكُّ عَنْهُ العُسْرُ مِمّا أشارَ إلَيْهِ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الحجر: 97]، وإنَّما يُنْهَى عَنِ التَّمادي مَعَهُ في الذِّكْرِ، بِخِلافِ ما مَضى في النَّحْلِ، فَإنَّ السِّياقَ هُناكَ لِلْعَدْلِ في العُقوبَةِ لِما وقَعَ مِنَ المُصيبَةِ في غَزْوَةِ أُحُدٍ، المُقْتَضي لِتَعْظيمِ التَّسْلِيَةِ بِالحَمْلِ عَلى الصَّبْرِ[3].

(1) السّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 232 - 233.
(2) امحمّد صافي المستغانميّ، برنامج في رحاب سورة.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 208.

### العُدولُ عن (ولا تضق) إلى ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾:

إضافةُ فعلِ (الكون) تقتضي توكيدَ ما جاء بعدَه، وهو حصولُ الضّيق له ﷺ

عدلَ النّظمُ الحكيم عنِ التّعبير بـ(ولا تضق) إلى التّعبير بـ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾؛ وذلك لأنّ ذِكْر فعلِ (الكون) في الآية الكريمة يدلّ على الحصول المُطلَق، وخَبرُه يدلُّ على الكون المخصوص، و﴿فِي ضَيْقٍ﴾ متعلّقٌ بالخبر المحذوف، فجيءَ بلفظٍ دالٍّ على حصولٍ ما، ثمّ عَيَّن بالخبر ذلك الحاصلَ، فكأنّك قلت: حصلَ ضيقٌ، أو ضاق صدرُ رسولِ الله ﷺ. فالفائدةُ في إيراد مُطلَقِ الحصول أوّلًا، ثمّ تخصيصِه، مع فائدة أخرى، هي دلالتُه على تعيين زمان ذلك الحصول المُقيَّد[1]. وناسبَ فعلُ الكونِ شِدّة حُزنِ رسولِ الله ﷺ، حتّى أضحى عنده كأنّه خِلّةٌ، ونفيهُ إرشادٌ إلى عدم المبالغة في ذلك.

### دلالةُ الظّرفيّة في ﴿ضَيْقٍ﴾ وأثرُها البيانيّ:

انشغالُ قلبِ النّبيّ ﷺ وحزنه بسبب تكذيب قومِه

حقيقةُ الضَّيْقُ - بِفَتْحِ الضّادِ وكَسْرِها - عَدَمُ كِفايَةِ المَكانِ أوِ الوِعاءِ لِما يُرادُ حُلولُهُ فيه، وهو هُنا مَجازٌ في الحالَةِ الحَرِجَةِ الَّتي تَعْرِضُ لِلنَّفْسِ عِنْدَ كَراهِيَةِ شَيْءٍ فَيُحِسُّ المَرْءُ في مَجاري نَفَسِهِ بِمِثْلِ ضَيْقٍ عَرَضَ لَها، وإنَّما هو انْضِغاطٌ في أعْصابِ صَدْرِهِ. وقد دلَّ التّعبيرُ بقول الله تعالى: ﴿ضَيْقٍ﴾ على مبلَغ ما اعتراه ﷺ من تعبٍ وهَمّ، حتّى لازَمَه حُزنٌ شديد ملأ صدرَه، بسبب تكذيب قومِه من ناحية، ولإشفاقه عليهم أن يصيبَهم مثلُ ما أصاب الأُمم السّابقة من ناحية أخرى. والظَّرْفيَّةُ مَجازيَّةٌ، أيْ: لا تَكُنْ مُلْتَبِسًا ومَحوطًا بِشَيْءٍ مِنَ الضَّيْقِ بِسَبَبِ مَكْرِهِمْ[2].

من تمام رعايته سبحانه لنبيّه ﷺ أن يزيلَ من صدره كلَّ ضيق مهما صَغُر

### دلالةُ التّنكير في ﴿ضَيْقٍ﴾:

جاء تنكيرُ كلمة ﴿ضَيْقٍ﴾ لنَفْيِ جَميعِ الضّيقِ مهما صَغُر، وليَكونَ

(1) الشّريف الرّضيّ، شرح الكافية: 2/ 221، والدّماميني، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد: 3/ 171، والسّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 209.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 26.

ذَلِكَ وازِعًا عَنْ مُجاوَزَةِ الحَدِّ، بَلْ حامِلًا عَلى العَفْوِ عنهم[1] وإن أساؤوا؛ طمعًا في إسلامهم، وهو ما مَنَّ اللّهُ سبحانه به على نبيّه ﷺ بعد حين، عندما هدى قومَه للإسلام، وأخرجهم منَ الظّلمات إلى النّور.

### التّوجيهُ البلاغيّ في قراءة ﴿ضَيْقٍ﴾:

قرأ الجمهور: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾ بفَتْحِ الضّادِ، وقَرَأ ابْنُ كَثيرٍ بكَسْرِها، وهُما لُغَتانِ كالقَوْلِ والقيلِ، أيْ: لا تَكُنْ في ضيقِ صَدْرٍ وحَرَجٍ، وفيهِ اسْتِعارَةٌ لا تَخفى، ولا داعيَ إلى ارْتِكابِ القَلْبِ. وقال ابنُ السِّكّيت: الضّيق والضَّيق بمعنًى واحدٍ. وعنِ الفرّاء: المفتوحُ ما ضاق عنه صدرُكَ، والمَكْسورُ الذي يتّسِع ويضيق كالدّار والثّوب. وعلى حسب ما ذهب إليه الفرّاء فلا استعارةَ في قراءة الفتح، وفيها استعارةٌ على قراءة الكسر. وقالَ أبو عُبَيْدَةَ: الضَّيْقُ بالفَتْحِ مُخَفَّفُ ضَيِّقٍ كَهَيِّنٍ، أيْ: لا تَكُن في أمْرٍ ضَيِّقٍ. ورَدَّهُ أبو عَليٍّ – كما في البَحْرِ – بأنَّ الصِّفَةَ غَيْرُ خاصَّةٍ بالمَوْصوفِ، فَلا يَجوزُ ادِّعاءُ الحَذْفِ، وتُعقِّبَ بالمَنعِ لِأنَّهُ إذا كانَتِ الصِّفَةُ عامَّةً وقُدِّرَ مَوْصوفٌ عامٌّ فَلا مانِعَ مِنهُ[2].

**بينَ الضّيق الحقيقيّ والمعنويّ صلةٌ تُشير إلى مبلَغ حرصِ النّبيّ على قومه**

### الإعجازُ البيانيُّ في الجمع بينَ الحُزن والضّيق في الآية:

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾ جمعتِ الآيةُ الكريمة بينَ (الحُزن) و(الضّيق)؛ للإشارة إلى شموليّةِ النّهي الإلَهيّ وتكاملِهِ في إزاحة الحُزْن والضّيق عن صدر النّبيّ ﷺ، وكلِّ ما من شأنه أن يوغِرَه ويُؤرِّقَه، سواء أكان حزنًا داخليًّا أم ضيقًا نفسيًّا. كما أنّ التّعبير بالكلمتين يُعَزّز المعنى ويُعَمِّقُه، إذِ الحُزنُ يتعلّق غالبًا بالشُّعور الدّاخليّ لفُقْدان شيءٍ، والضّيق يتعلّق بالشّعور

**شموليَّةُ العنايةِ الإلَهيّة وتكاملُها في إزاحة الحُزن والضّيق عن قلب النّبيّ ﷺ**

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 208.

(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (ضيق)، والآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 49.

الذي قد ينشأ من خارج الإنسان، نتيجةَ الظّروف المحيطة به، أو المؤامراتِ التي تُحاكُ ضِدّه، وبذلك يتّضِح التّكامُلُ بينَ الكلمتين؛ لشمول جميع ما قد ينتابُ النّبيَّ ﷺ. وكذلك فإنّ بينَ الكلمتَين عمومًا وخصوصًا، فالحُزْن شعورٌ عامٌّ، والضّيقُ شعورٌ أكثرُ تحديدًا وتعمُّقًا، فتدرَّجَتِ الآيةُ منَ العامِّ إلى الخاصّ.

### دلالةُ حرفِ الجَرّ (مِنْ):

طمأنةُ اللهِ سبحانَه قلبَ النّبيِّ ﷺ برغم كثرةِ مَكْرِ الكفّار واحتيالِهم

أفاد حرفُ الجَرّ (من) في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تكثيرَ المعنى، فقد دلّ حرفُ الجَرّ على التّعليل، أي: لا تكن في ضَيق بسبب مَكرهم الذي يمكرونه؛ ابتغاءَ النّيلِ منك ومِن دعوتك ومن أتباعِك. وهو في الوقت نفسِه قد أفاد دلالةَ الابتداءِ التي هي معنًى أصليٌّ لا يكادُ يفارقُه[1]، أي: منَ السّاعة التي ابتدؤوا فيها مكرَهم وتآمرَهم عليك وعلى دعوتك.

### دلالةُ التّعبير بـ(ما) بينَ المَصدريّة والموصوليّة:

مهما بلغ الكفّارُ من مكرهم واحتيالهم فإنّ الله حافظٌ نبيَّه، وعاصِمٌ له منهم

تحتمل (ما) في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ المصدريّةَ، أي: من مكرهم، والموصوليّةَ، أي: الذي يمكرونه، والعائدُ محذوفٌ، وهي في محلّ جَرٍّ بحرف الجَرّ[2]. فالمُراد على المصدريّة: ولا تكن في ضَيق من مكرهم واحتيالِهم لك ولدعوتك ولأتباعك، فإنّ اللّه يعصمُك منَ النّاس بفضله ومَنِّه وقوّته. وأمّا على الموصوليّة فالمُراد: فلا تكن في ضَيق بسبب مَكْرهم الذي يمكرونَهُ.

### دلالةُ التّعبير بالمَكْر:

شِدّةُ احتيالِ الكفّار لأذى النّبيِّ ﷺ، ومَكرُهم بأصحابه ودعوتِه

المَكْرُ فِعْلٌ يُقْصَدُ بِهِ ضُرُّ أحَدٍ في هَيْئَةٍ تَخْفى عَلَيْهِ، أوْ تَلْبيسُ فِعْلِ الإضْرارِ بِصورَةِ النَّفْعِ، والمُرادُ هُنا: تَدْبيرُ المشركين لصَدّ النّاس عن دعوة النّبيّ ﷺ، وسَعْيُهم في أذى مَن أسلم منهم، وعنادُهم

(1) السّامرائي، معاني النّحو: 3/ 77.
(2) الخطيب وآخرون، التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل: 20/ 29.

وجدالُهم بالباطل في شأن البعث وسائرِ أمور الآخرة. وقد آثَرَ النّظمُ الحكيم التّعبيرَ بمادّة المَكْر لِما فيها من سَعيٍ في الضُّرِّ مع دِقّة الحيلة وخفائِها، وفيه إشارةٌ إلى شِدّة ما لاقاه النّبيُّ ﷺ في سبيل تبليغ دعوته، وإشارةٌ كذلك إلى مدى عنادِ قومِه برَغْم فقدِهم الأَدِلّةَ البَيِّنَةَ على صِحّة موقفِهم؛ فَلَجؤوا للمَكْر والخَديعة.

### سِرُّ العدولِ عنِ المَصدر الصّريح:

في تجدّد مَكْرِ الكافرين واستمرارِه واستحضارِ صورته ما يَحُثّ على الحَذَر منهم

عدلَ النّظمُ الحكيم عن: (ولا تكن في ضَيقٍ من مَكْرِهم) إلى صيغة المَصدر المُؤوّل: ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾؛ وذلك لأنّ المصدر الصّريح يشمل الحَدَث، ولكنّه لا يشملُ الزَّمن، بخلاف المَصدرِ المُؤوّل الذي يشمل الزّمن إلى جوار الحَدَث، ومن هنا فقد أفاد المصدرُ المُؤوّل في صيغة المضارعة استمرارَ مَكْرهم وتَجَدُّدَه، فكأنّ هؤلاء الكفّار المعاندين المنكرين للبعث لا يتوقّفون ليلَ نهار عنِ الكَيْد للنّبيّ ﷺ ودعوتِه وأصحابه، ويجوز أن يكون ﴿يَمْكُرُونَ﴾ بمَعْنى: مَكَروا، وإنَّما عَبَّرَ بالمُضارِعِ اسْتِحْضارًا لِلصّورَةِ الماضيَةِ[1]، وذلك أدْعَى للحَذَر منَ الكافرين ومِن مَكْرهم وخِداعهم وكَيْدِهم.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الحُزْن والهَمّ:

الهَمُّ ما يشغلُ النّفْسَ ويُقلِقُ البالَ منَ الأمور التي لم تحدُث بَعْدُ، ويُعرف بأنّه التّفكيرُ والانشغال بأمرٍ ما قبلَ وقوعِه، وقد يكون الهَمُّ إيجابيًّا أو سلبيًّا، بناءً على طبيعة الأمر، فهو نوعٌ منَ الانشغال النّفسيّ والعقليّ.

الهَمُّ ما يشغلُ النّفْسَ ويُقلِقُ البالَ، أمّا الحُزنُ فهو ما يصيب النّفْسَ منَ الكآبة

أمّا الحُزْنُ: فهو ما يصيب النّفْسَ من كآبةٍ وألمٍ بسبب فقدان شيء أو وقوعِ مكروه قد حدث بالفعل.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 49.

والخلاصةُ: أنّ الهَمّ انشغالُ النّفْسِ بأمرٍ لم يقع بعد. وأمّا الحُزْنُ: فهو شعورٌ بالألم وضيقِ الصّدر لأمر وقع بالفعل[1]. ولذلك اختيرَ في الآية؛ لكون حُزنِ النّبيِّ ﷺ كان على أمر واقعٍ، هو كفرُ قومِه.

### الضّيْق والحَرَج:

الحَرَج: ضيقٌ لا منفذ فيه، مَأْخوذٌ منَ الحَرَجَة، وهي الشّجَرُ المُلْتَفّ، حَتَّى لا يُمكنَ الدُّخولُ فيه ولا الخُروجُ منه، ولِهَذا جاءَ بِمَعْنى الشَّكّ في قَوْله تَعالَى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النّساء: 65] أَي: شَكًّا، لِأَنّ الشّاكّ في الأَمر لا ينفذُ فيه، ومثلُه: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: 2]. وقالَ بعضُ المُفَسّرين في قَوْله تَعالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحجّ: 78] إنَّه أَرادَ ضيقًا لا مَخْرَج مِنْهُ، وذلك أَنّه يتَخَلَّصُ منَ الذَّنب بِالتَّوْبَة، فالتّوبة مخرجٌ، و[كذلك] تركُ ما يَصْعُب فعلُه على الإنْسان بالرُّخَص، و[ما] يُحتجّ بِهِ فيما اخْتُلِفَ فيه منَ الحَوادث إن ما أدّى إِلَى الضّيق، فَهوَ وما أوجب فَهوَ أولى[2]. وقد ورد لفظُ (الحَرَج) في القرآن على ثلاثة معانٍ؛ هي: الضّيقُ، والشّكّ، والإثم. وغالبًا ما يأتي لفظُ (الحَرَج) إذا لم يكن لفظُ (الضّيق) وافيًا في بيان المقصود؛ لأنّ في (الحرج) من معنى شِدّة الضّيق، ما ليس في الضّيق.

**الحَرَجُ ضيقٌ بلا مَخرج، والضّيْقُ قد يكون فيه مخرجٌ وقد لا يكون**

فالفرقُ بين لفظَي الضّيقِ والحَرَج: أنّ الحَرَج ضيقٌ لا منفذَ فيه، أمّا الضّيق: فهو المكان الضّيقُ، وليس بالضّرورة أن يكون بلا منفذ. ولذا فقد آثَرَ النّظمُ الحكيم التّعبيرَ بالضّيق؛ إذ في الأمر مُتّسَعٌ، وليس الأمرُ في هذه القضيّة بالغَ الضّيق.

(1) ابن منظور، لسان العرب، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (همم) و(حزن)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 267.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 307.

### المكْر والخِداع والكَيْد:

الكَيْدُ أقوى منَ المَكْر، والخِداعُ سَـــتْرُ وجـــهِ الصّواب

يُقال: خادَع إذا لم يبلغ مُرادَه، وخَدَع: إذا بلغ مُرادَه، ولا بُدّ للمُشْتَرك فيه من اثْنَيْن مغايرين بالذّات، بخِلاف الخَدْع، فَإنَّهُ يَكْفي فيه المُغايرَةُ بَين الفاعِل والمَفْعول بالاعْتبار. والخَدْعُ: أن يسترَ عَنهُ وجهَ الصَّواب، فيوقِعَه في مَكْروه، وأَصلُه من قَوْلهم: خَدَع الضَّبُّ، إذا توارى في جُحْره، وخَدَعَهُ في الشّراء أو البيع[1].

وأمّا المَكْر: فمِثلُ الكَيْد في أَنّه لا يكون إلَّا مَعَ تدبُّرٍ وفِكْر، إلا أَنّ الكَيْدَ أقوى منَ المَكْر، والشَّاهِدُ أَنه يتَعَدَّى بِنَفسِه، والمَكْرُ يتَعَدَّى بحرف، فَيُقال: كاده يكيده، ومكر بِهِ، ولا يُقال: مكره، والَّذي يتَعَدَّى بِنَفسِه أقوى. والمَكْر أَيْضًا: تَقْديرُ ضَرَرِ الغَيْر من أَن يفعل بِهِ، أَلا ترى أَنه لَو قالَ لَهُ: أَقْدِرُ أَن أفعل بِكَ كَذا، لم يكن ذَلِك مَكْرًا، وإنَّما يكونُ مكرًا إذا لم يُعلِمْهُ بِهِ. والكَيدُ اسْمٌ لإيقاع المَكْروه بالغَيْر قهرًا سَواء عَلِمَ أَو لا، والشَّاهِد قَوْلُكَ: فلانٌ يَكايدُني، فَسمّى فِعْلَه كيدًا وإن عَلِمَ بِهِ، وأصل الكَيْد: المَشَقَّة، ومِنْه يُقال: فلان يَكيدُ لنَفسِه، أَي: يُقاسي المَشَقَّة، ومِنْه الكيدُ لإيقاع ما فيهِ منَ المَشَقَّة[2]. ولمّا كان المَكْرُ مصحوبًا بالتّدبير والفِكْر، وكان الظّاهِرُ عليه إيقاعَ المَكْروه في الخَفاء، ناسبَ اختيارُه صنيعَ الكافرين الذين كانوا يُضْمِرون للنّبيّ ﷺ الخُطَطَ للنّيل منه.

(1) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 431.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 259.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»